

القناع وصنع الصورة البصرية للعرض المسرحي

The mask and making the visual for the theatrical show

خالد حفصة

جامعة جيلالي اليابس - سيدي بلعباس ، الجزائر ، hafsa.khaled@univ-sba.dz

ملخص:

تعد الصورة جوهر الفنون البصرية، حيث خلقت لنفسها لغة جديدة استحوذت على حاسة البصر، وأصبحت على إثرها ملتقى الفنون. ومن العناصر الأكثر إمتاعا في العرض المسرحي نجد القناع، ليعد هذا الأخير من أهم مصادر الإمتاع البصري الذي تمنحه الشخصية للمتلقى، من خلال إسهامها في إبراز القيم الجمالية لبقية عناصر الشخصية كوحدة متغاممة ومتكاملة، كون القناع يتضمن أبعادا رمزية أوسع عن باقي العناصر السينوغرافية الأخرى، وذلك لثبات الملامح وتعدد الوظائف والأشكال حسب النص والمخرج.

كلمات مفتاحية: الصورة البصرية ، القناع، العرض المسرحي.

Abstract:

The image is the essence of the visual arts, as it created a new language for itself that captured the sense of sight, and subsequently became the crossroads of the arts. One of the most enjoyable elements in the theatrical presentation is the mask, so that the latter is considered one of the most important sources of visual enjoyment that the character gives to the recipient, through its contribution to highlighting the aesthetic values of the rest of the character's elements as a harmonious and integrated unit, since the mask includes wider symbolic dimensions from the rest of the other scenographic elements, and that The stability of features and the multiplicity of functions and forms according to the text and the director.

Keywords: visual image, Mask, Theatrical Shows.

1. مقدمة:

العرض المسرحي لا يتكامل خطابه بالدلالة اللغوية فقط، بل في تفاعله مع بقية العناصر المسرحية، وبين المتلقي الذي يتفاعل مع الحركية البصرية، واللغوية. وأي عمل مسرحي يحتاج إلى حركة مسرحية تتسجم وتتفاعل مع الألوان في تحليل الإبداعات التشكيلية وبناء الصورة المرئية .

ومن العناصر الأساسية المكونة للعرض المسرحي نجد الديكور والإضاءة والأزياء وأكسسوارات وموسيقى فضلا عن القناع. فيعتبر هذا الأخير بإسهاماته وتجلياته أحد تلك المفاهيم التي تمظهرت عبر رؤى، ومعالجات متنوعة على صعيدي النص والعرض منذ بدايات المسرح في القرن الخامس قبل الميلاد، أخذ مفهوم القناع أشكالا واسعة على مستوى التنظير، والاشتغال في العروض الموجهة للمتلقي. فلم يعد في لحظة الثبات الحقيقي للصورة، ولا خلق فضاء فوق خشبة المسرح ولا ذلك النشاط الإبداعي الذي يرسم بالتقنيات الدرامية وصولا الى درجة الإيهام لدى المتفرج، ورغم ذلك بقي القناع بجذوره التاريخية الممتدة من عصر اليونان والرومان، وتنوع الشكل الوظيفي الذي تشكله تلك الممارسة الفنية في تركيب العرض المسرحي. وعليه، يمكن القول بأن القناع هو انطباع مشهدي درامي على الخشبة وهذا لاكتسابه بعدا مفهوميا دالا على البناء النسبي للعالم، وهذا ما نود إبرازه من خلال هذه الدراسة، بطرح الإشكال التالي: هل يلعب القناع دورا في صنع الصورة البصرية للعرض المسرحي؟

تعتمد هذه الدراسة على منهج البحث الكيفي بالارتكاز على أدوات البحث الوصفي التحليلي ، معتمدين على خطة بحثية متكونة من مقدمة متبوعة بعناصر نسعى من خلالها للإجابة عن الإشكال المطروح.

نههدف من خلال هذه الدراسة إلى ابراز كيف ساهمت الأقنعة في العروض المسرحية إلى خلق صورة بصرية مخالفة للمألوف، ومدى اعطائها جمالية أكثر للعرض مما يجذب انتباه المتلقي.

2- التشكيل البصري للعرض المسرحي :

التشكيل البصري أو الصورة هي جوهر الفنون البصرية، حيث خلقت لنفسها لغة جديدة استحوذت على حاسة البصر، وأصبحت على إثرها ملتقى الفنون. والتي من خلالها أصبح بإمكان المتلقي من استيعاب ما يدور من حوله. كما تعتبر الصورة من الاكتشافات التي عرفها العصر الحديث، والتي أحدثت تغيرا جذريا على مستوى المفاهيم كلا على حسب مجالات استعمالها.

تعتبر الصورة أحد أهم وسائل اتصال المرئية وغير المرئية، فهي وحدة كاملة تعمل على تكوين أو تنظيم عشرات من الرموز والإشارات، فهي قادرة على انتاج مجموعة من المعاني، ومستويات من التأويلات اللامتناهية ويعني هذا بأن الصورة تنتج معانيها من خلال السياق الذي تكون فيه، وكلما تغيرت السياقات تتغير معها معاني الصورة، وهذا ما يجعل منها إرسالية رمزية ومنظومة كاملة من الرموز لقدرتها على الاندماج داخل بنى وسياقات معينة. فكلمة الصورة تحيلنا إلى معنى التصوير والتمثيل والمحاكات في بدايات استعمالها، ومن ثم فالصورة هي التي تنقل العالم لنا إما بطريقة حرفية مباشرة، وإما بطريقة غير مباشرة وذلك بأساليب فنية وجمالية.⁽¹⁾ فيتجلى هذا النقل أو التمثيل من جهة بالتكثيف والاختزال والاختصار والتصغير والتخييل والتحويل، كما يتميز من جهة أخرى بالتضخيم والتهويل والتكبير والمبالغة، وعليه، تكون علاقة الصورة بالواقع التمثيلي علاقة محاكات مباشرة، أو علاقة انعكاس جدلي، أو علاقة تماثل، أو علاقة مفارقة صارخة.

كما تعمل الصورة أيضا على اختراق لتلك الانساق التي تكون فيها، بمعنى أنها تعمل على تعديل موقعها وإعادة النظر في نظامها. وهذا أمر طبيعي، فتكوين المعنى يكون نتيجة اختراق الإنسان لعالم الأشياء، فالاستعمالات الرمزية والإيحائية وربما الوظيفية هي أيضا تحدد العمق الدلالي للشيء. وعليه فالصورة ماهي إلا سوى قراءة وتأويل لذلك العالم.(2)

الصورة بصفة عامة والصورة المسرحية بصفة خاصة تقوم على بناء مزدوج، يتمثل البناء الأول في عين المصور وأداته سواء كان هذا المصور مصورا فوتوغرافيا أو سينمائيا أو مسرحيا، حيث يعمل على إعداد الصورة وذلك من خلال تنظيمها وترتيب عناصرها حسب الشكل والحجم واللون وتقديمها من خلال نمط خاص في التمثيل، وعلى سبيل المثال يعمل المخرج المسرحي على بناء صورة العرض المسرحي بدقة متناهية حتى يوصل فكرته وفكرة المؤلف للمنتج (المتلقي)، أما البناء الثاني فيتمثل في المتلقي فكل قارئ للصورة يبحث عن ذاته حيث يقرأ فيها تاريخه وأحلامه وأوهامه، بمعنى أن المتلقي مهما كان نوعه فهو يبحث عن نفسه وعن ذاته الضائعة من حوله، وهذا ما يحدد أولوياته في المشاهدة سواء للصورة أو للعرض المسرحي ككل. فالمتلقي بطبعه يحب مشاهدة العروض المسرحية المثيرة والمليئة بالغموض والإثارة والتي تكون مبنية على الرموز والدلالات، وتكون فيها حركة وتناغم بين عناصرها، وذلك حتى يبحث هو عن الحل أو انه يتوقع نهاية العرض كيف تكون مع حل شيفراتها. فيعنى هذا بأن تحتوي الصورة المسرحية على كل جوانبها ومستوياتها ليكتمل العرض العام وينال القبول والاستحسان.(3)

3. القناع في المسرح :

أستخدم القناع في بادئ الأمر لأجل التنكر ومحاكاة الحيوانات حتى يتم اصطيادها. كما وجد القناع عند الأفارقة خاصة عند الإثنيات المتواجدة في افريقيا وافريقيا الوسطى،

حيث يعد القناع الإفريقي ليس تسجيلاً لتغيرات الإنسان ولكنه تجسيد لتلك الأرواح التي تسكنه. وعليه، تتمثل وظيفة القناع الرمزية في ما هو ديني واجتماعي، فيتم ارتدائه في الأعياد والجنائز والطقوس الدينية، كما يلعب دور الوسيط بين الآلهة والبشر، فتستحضر من خلاله سلطة الآلهة وأرواح الأجداد لنيل بركتهم واستجلاب الخير والحظ السعيد، لأن القناع حسب معتقداتهم حامي القبيلة الفعلي من الأمراض والأرواح الشريرة، وهو الوسيلة المثلى لإفزاعها وطردها أو استرضائها .

أما أول من استخدم الأقنعة هو الممثل ثيسبس، حيث كان يضعها في عربة ويقوم هو نفسه بتمثيل كل الأدوار من خلال الأقنعة، ثم استخدم بعد ذلك اسخيلوس القناع في بادئ الأمر، وكانت الأقنعة تحتوي على أبواق وذلك من أجل إيصال الصوت إلى ابعدها مكان يجلس به الجمهور. وعليه، غدا القناع عنصراً جوهرياً في العرض المسرحي وأصبح متعدد المظاهر ومختلف المعاني والوظائف.

القناع في المسرح يمكن أن يكون قطعة مستقلة توضع على الوجه فتخفيه كما في المسرح اليوناني القديم ومسرح النو الياباني، كما يمكن أن يكون نوعاً من الماكياج الكثيف حيث يوضع على الوجه فيعطيه ملامح أو معالم جديدة كما في المسرح الصيني.⁽⁴⁾ فالقناع هو: «عبارة عن غطاء مشكل مرسوم، يثبت على وجه الممثل ليخفي ملامحه الأساسية في سبيل إعطاء الاحساس بملامح أو هيئة أخرى للإنسان، أو الحيوان، أو نبات، أو طير، أو شيء ما. كما يحدد القناع الملامح الأساسية للشخصية المؤداة ويحدد أيضاً عمرها والطبقة الاجتماعية ومزاجها ولكن على نحو ثابت.»⁽⁵⁾ بمعنى أنه الممثل يؤدي دوره بقناع واحد ذي الملامح الثابتة والتي سرعان ما نتعرف عليه مباشرة عند رؤيتنا له. فالقناع هو الوجه الآخر للممثل، أو هو بمثابة الصورة الاصطناعية له حيث يعتبر أداة مساعدة لأداء مجموعة من الأدوار التمثيلية في سياقات درامية مختلفة. كما هو كذلك الغلاف الفني والجمالي الذي

يحيط بالوجه الثابت للممثل المسرحي وبجسده التشخيصي الديناميكي، فيعبر هذا القناع عن طبيعة الممثل فوق خشبة الركح، هل هو يعبر عن شخصية خيرة أم شريرة، وهل هو يمثل طبقة أرستقراطية أو طبقة فقيرة، كما يعبر أيضا عن الحالة النفسية للممثل من هل هو إنسان سوي أم مجنون.

عرفت الأقنعة منذ أقدم العصور أهمية عظمى في المسارح الرومانية والإغريقية للتعرف على الشخصيات، فلونت الأقنعة لتعبر للجمهور عن الشخصية التي يريد الممثل تصويرها. وبهذا كانت للأقنعة دورا كبيرا في مساعدة الممثل على تقمص الشخصية، كما استعمل الإفريقيون والصينيون واليابانيون والهنود وغيرهم الأقنعة في الحفلات والرقص الديني، واستعملوها أيضا لبث الذعر في قلوب أعدائهم وقت القتال وحتى العصر الإليزابيتي كانت تستخدم الأقنعة بمختلف أشكالها لأغراض التسلية المسرحية.⁽⁶⁾ فكان يستخدم قناع خاص لتمثيل الشخصية، حيث كان الممثل يستطيع تحريك ملامح وجهه التعبيرية وذلك تبعا للأدوار التي يقوم بها، وبذلك أصبح الماكياج جزءا من جسد الممثل، ظلت طبقة الماكياج سميكة أشبه بالقناع حتى السنوات الأخيرة، حيث قام الكيميائيون بعمل الكثير من الأبحاث والتجارب للحصول على مواد ماكياج تعطي مظهرا طبيعيا أو أقرب من الطبيعي قدر المستطاع، وذلك بسبب تطور تقنيات التصوير مع الإضاءة⁽⁷⁾، فطرق الإضاءة الحديثة الباهرة ودقة عيون الآلات التصويرية الفاحصة في السينما والتلفزيون يعملان على إبراز كل العيوب على الممثل.

4. القناع وصنع الصورة البصرية للعرض المسرحي :

يعد المسرح فنا شاملا لجميع الفنون السمعية والبصرية والتشكيلية، وتكمن الحاجة إليه حينها عن طريق التساؤلات التي يطرحها المتلقي. حيث يستعمل المسرح نظاما للتعبير الفني

والجمالي، وهذا النظام يخضع لقوانين العقل والحركات الغريزية للتقليد القديم، ليصبح القناع المسرحي ذات طابع سحري أصيل في المنجزات الإبداعية للعرض، وباعتباره عنصرا ملازما للعرض المسرحية الحديثة، وذلك لما يحتويه القناع من قيم جمالية وفنية في تشكيل الصورة المرئية، فالتركيب الصوري للعنصر المسرحي من حيث الشكل والمضمون تشكل صورة جمالية للقناع في عملياته التواصلية، وليعطي دلالة بصرية وفكرية تكمل شخصية الممثل. وعلى هذا الأساس، يعطي التحول والتطور الكبير على مستوى التمثيل وتوظيف القناع في تعدد الشخوص داخل العرض، وبهذا تتحدد معالم تشكيل الصورة البصرية للمتلقى في الكشف عن ظل قناع الشخصية والتي تكون متلازمة لوجه الممثل وإيماءاته وإشارات اللفظية، فهو العلامة الأكثر حضورا داخل المسرحية والتي تميز الشخصية في استخدام القدرات التعبيرية. فلا يكتسب القناع معناه إلا ضمن عملية الإخراج بمجمله، حيث تكون له علاقة مع بقية عناصر العرض الأخرى من إضاءة، وديكور، وأزياء، فكلها مرتبطة مع بعضها البعض من أجل اعطاء صورة بصرية موحدة للعرض المسرحي، « ولم يعد يقتصر القناع أيضا على الوجه فقط بل إنه يحافظ على علاقته الوطيدة مع الإيماء والمظهر الشامل للممثل، وذلك من خلال تعابير الوجه وحركة الجسد التعبيرية إلى جانب طواعية الخشبة»⁽⁸⁾، فعلى الممثل التنسيق بينهما ليحقق كمالية للعرض المسرحي ويعطي ذلك صورة جذابة له، وحتى لا يحس المتلقي بوجود خلل ما على العرض.

أمام المنظومة التشكيلية لملاحق القناع وتوظيفه، يسودها التشابه في الملابس وفي الحركة والأداء، مما جعل هذا التشابه معادلا بصريا لتحديد مضمون القناع، وهي رؤية إخراجية لإنتاج صور تجعل المتلقي بين تقبل لأداء الدور وتركيبه الصوري الذهني الخاص به وبين صورة المخرج على خشبة المسرح. وعليه، فإن توظيف الصورة البصرية التي تدخل كافة العناصر السينوغرافية في بنائها ضمن المنظومة الفنية للفضاء المسرحي، تتوضح

معالمها في رؤية المخرج البصرية للعمل وكيف يمكن أن يشكل أفقا استثنائيا من الصور، والتي تعطي دلالة للعمل المسرحي إطارا ومضمونا تشكيليين تساهمان في إعلاء قيمته الجمالية.

يعتبر القناع وسيلة تواصل في العرض المسرحي، حيث يحقق هدفه التواصلي من خلال الشكل واللون باعتبار أن اللون في المسرح هو: « هو مجموعة من العلاقات التي تملك رموزا ومضامين، فالتعبير عن الأفكار الكامنة في الشخصية ترتبط بلون القناع ارتباطا وثيقا لكونه يخلق التشويق والإثارة النفسية، فضلا عن كونه عنصرا لجذب الذوقية الجمالية عند المتلقي، مع خلق تأثير للشعور الايجابي والسلبى نحو المشهد المسرحي». (9)

تلعب الألوان في الفنون التشكيلية دورا مهما في كونها تحمل رموزا ومضامين تعبر عن فكرة الفنان، ونفس الشيء بالنسبة للمسرح باعتبار أن العنصر المرئي الملون يلجأ إليه المخرج المسرحي ليكون فيه الإطار العام للعرض المسرحي، فمن خلال الألوان المستعملة في الأفعنة التي تعمل على توضيح الجو العام للمسرحية فيما إذا كانت تراجيدية، وذلك من خلال الأفعنة التي توحى إلى الحزن والكآبة، أو أن تكون كوميدية من خلال ما توحى اقنعها إلى الفرح أو إلى السخرية، أو اقنعة فنتازية مسخية والتي سرعان ما يتعرف عليها المتلقي عند رؤيتها، ويؤكد ذلك باتريس بافيس في قوله « بأن القناع يعمل على تشويه طوعي للمظهر البشري، فهو يرسم بكاريكاتورية ويعيد تركيب الوجه كليا، سواء كان تعبيراً مبتذلاً أم أسبلة، فكل شيء يصبح متاحاً صورة وفعلاً من خلال استخدام المواد الحديثة ذات الأشكال والحركة المذهلة». (10) فأشكال وألوان هذه الأفعنة تزيد من الانفعالات العصبية والنفسية وذلك بانسجامه مع الإضاءة. حيث يلجأ المصممين إلى استخدام الألوان الفاتحة على الأفعنة التي تكون تحت تأثيرات الإضاءة، بحكم أن هذا الأخير يعمل على التأثير على

لون القناع مما يؤدي هذا إلى أحداث تغييرات على مستوى لون الإضاءة المبرمجة، حيث تعمل الإضاءة الملونة إلى جانب الأقنعة إلى إثراء التكوين المسرحي بما فيه المناظر المسرحية. (11)

الأقنعة بأشكالها وألوانها وأنواعها تعمل على إبراز نوعية الطبقة الاجتماعية، حيث يظهر ذلك جليا في المسرحيات الاغريقية التي كانت تستعين باللون الأبيض لطلاء وجوه الممثلين مشكلين قناعا يختبؤون وراءه لأداء شخصية معينة، إضافة إلى الملابس والتي لا يمكن فصلها عن القناع باعتباره يتوسطها، فكان اللون الأبيض يوحي إلى الكهنة والشباب، إضافة إلى اللون الأرجواني الذي يرمز إلى الطبقة البرجوازية مع رجال الدين.

من بين وظائف القناع هي الوظيفة الإيهامية والتي تعتبر كآلية لمعالجة تصميم القناع، فبواسطة خطوط القناع المسرحي وألوانه التي تسيطر على معظم أجزاء الشكل الخارجي لقناع الشخصية، نستطيع إيصال الأفعال الدرامية للمتلقي بالشكل السليم والممتع والدقيق، فضلاً عن تحقيق مبدأ الإيهام الذي يسود في معظم أجزاء المسرحية والذي يعد ركيزة أساسية في البناء الدرامي للمشاهد المسرحي، وهذا بدوره يخلق صورة بصرية جذابة وموحية ومدعمة لما يعبر عنه الممثل من كلام وحركات. لهذا يتم تطبيق آلية في تصميم القناع المسرحي عموماً مرتكزة على مبدأ الإيهام البصري، والتي تستطيع تغيير المظهر الخارجي للممثل وتكون كأداة فاعلة تساعد في تنفيذ دوره المسرحي بالشكل الايجابي. وهذا ما يؤكد عليه براشت على اهمية الوظيفة الإيهامية للقناع، وذلك من خلال نظرية اللاندماج، حيث أن الممثل لا يعيش في الحقيقة دوره فوق خشبة المسرح عن صدق وإيمان، إنما يقدم هذا الممثل دوراً درامياً يقوم على التمثيل والتشخيص ليس إلا. (12)

وعليه، فالقناع يعمل على جذب انتباه المتلقي لأنه يعمل على خلق جوا انفعاليا ووجدانيا، فمن خلال وظيفة القناع الإيهامية التي يعطيها للمتلقي مع الدلالة الرمزية للألوان

فكلاهما يعتبران وسيلة اتصال أساسية لما يحملانه من دلالة رمزية معينة، فتحمل أفكارا عن الشخصية المؤدات، وإن التفاعل الحاصل بين الأفتنة وألوانها يؤدي هذا إلى تقبل فكرة ما، والتي تكون نتاج لجذور ومرجعيات اجتماعية وذهنية، يمكن أن يكون مدلولها في الذاكرة يؤخذ به، كأن يكون القناع ضاحك والذي يرمز إلى الشخصية السعيدة أو العكس، أو القناع ذو تجاعيد مع شارب يعرف مباشرة بأنه قناع لشيخ، أو قناع ذو أشكال منقوشة على الوجه يوحي إلى شخصية مضطربة أو مأكرة... إلخ، وكذلك المرجعية الذهنية للألوان كاللون الأبيض الذي يرمز للطهارة والنقاء، والأسود للشر أو الجريمة، والأصفر للغيرة والأحمر للحب أو الجريمة .

5. خاتمة:

يتضح لنا من كل هذا، بأنه فعلا يعمل القناع على خلق صورة بصرية للعرض المسرحي، وذلك من خلال أشكاله المختلفة مع الألوان التي تجعل من المتلقي موضع المحلل أو الناقد للعرض، فيعمل على قراءة أو تحليل رمزية هذه الألوان ليتمكن من التقرب أكثر فأكثر من الشخصية المسرحية، إلى جانب ذلك العلاقة التي يخلقها القناع مع العناصر السينوغرافية الأخرى من ديكور وإضاءة وأزياء أكسيسوارات، إضافة إلى حركة الممثل وإيماءاته وكلامه، فكل هذا يعمل في قالب متكامل متجانس من شأنه أن يعطي الروح والحيوية على الصورة المشهدة للعرض المسرحي.

6. قائمة المراجع :

- 1- ينظر: جاك أمون، الصورة، تر: ريتا الخوري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، 2013، ص 14 .

- 2- ينظر: سعد بنكراد، سيميائيات الصورة الاشهارية، افريقيا الشرق للنشر والتوزيع، المغرب، 2006، ص 34.
- 3- نفس المرجع السابق .
- 4- ينظر: رضا غالب، الممثل و الدور المسرحي، أكاديمية الفنون، مصر، 2006، ص 46 .
- 5- ينظر: ماري إلياس، حنان قصاب حسن، المعجم المسرحي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2006، ص 355.
- 6- ينظر: عثمان عبد المعطي عثمان، عناصر الرؤية عند المخرج المسرحي، دار الغريب للطباعة والنشر، مصر، ب ط، 1996، ص 207.
- 7- ينظر: نفس المرجع السابق، ص 209.
- 8- أحمد إبراهيم، الدراما و الفرجة المسرحية، دار الوفاء لنشر والطباعة، مصر، ب ط، 2005، ص 77.
- 9- إيناس عبد علي ناجي، دلالات اللون للزي في العرض المسرحي العراقي، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ج3، العدد 33، جامعة بغداد، 01-01-2019، ص 287.
- 10- Patrice Pavis, Dictionnaire de théâtre. Idem,P198.
- 11- ينظر: عزوز إسماعيل عفاصة، أحمد حسن اللوح، التدريس الممسرح، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2007، ص 131.
- 12- ينظر: رانيا فتح الله، التغريب عند بيرتولد بريخت، الحوار المتمدن، ع 3744، 31/05/2012 www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=309884، إطلاع يوم 2017/05/06، على 10:30.